

# أهمية المباني التراثية في تطوير السياحة الثقافية بالمدن العربية دراسة تطبيقية بمدينة قسنطينة.

الدكتور فؤاد بن غضبان

معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة أم البواقي (الجزائر)

(و)

الأستاذ محفوط جعجو

معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة أم البواقي (الجزائر)

fouad.benghadbane@gmail.com

## ملخص:

أبدت السياحة الثقافية أهميتها المتنامية على أكثر من صعيد خاصة مع تعمق دورها في تحقيق الاستدامة السياحية بالمواقع التراثية، وتزداد هذه الأهمية عندما ترتبط مكانياً بالمدن العربية التي تزخر بالعديد من المواقع التراثية عاكسة في ذلك ثراءها الحضاري والتاريخي.

وفي هذا الإطار تبرز مدينة قسنطينة (الجزائر) بمبانيها التراثية العديدة والمتنوعة (الجسور، المدينة القديمة، المساجد، قصر أحمد باي، دور الثقافة، المتاحف...)، لتكون أهم وجهة للسياحة الثقافية، ويرمي هذا البحث إلى تشخيص واقع المباني التراثية بمدينة قسنطينة، وتحديد دورها في تطوير السياحة الثقافية من خلال التخطيط لها بطريقة عقلانية ومتوازنة تجمع بين أساليب المحافظة، والتوظيف السياحي، وتجسيد أبعاد التنمية المستدامة.

**الكلمات المفتاحية:** مباني تراثية، الحفاظ، سياحة ثقافية، تطوير، مدينة قسنطينة.

## Abstract:

Cultural tourism has shown its increasing importance at more than one level, especially with the strengthening of the role in achieving sustainable tourism development at heritage sites, This importance increases when they are spatially related to Arab cities, rich in many heritage sites reflecting their cultural and historical wealth.

In this context, the city of Constantine (Algeria) is distinguished by its many and varied heritage buildings (bridges, old city, mosques, Ahmed Bey palace, palace of culture, museums ...). The purpose of this research is to diagnose the reality of the heritage buildings of the city of Constantine and to determine its role in the development of cultural tourism through rational and balanced planning combining methods of conservation, tourism exploitation and conservation, through the dimensions of sustainable development.

**Keywords:** heritage buildings, conservation, cultural tourism, development, the city of Constantine.

## مقدمة:

يُقدم التراث العمراني منظومة تعكس قصة التطور الحضاري للإنسان عبر التاريخ، وكيفية تعامله مع البيئة العمرانية، فالتراث العمراني يعد ثروة حضارية تهتم بها الشعوب والأمم على اختلافها، لأنها تجد فيها هويتها وأصالتها لذلك تسعى للعناية بها وحمايتها، كما تعمل على إكمال مسيرتها التطورية لتبقى متوائمة مع ظروف عصرها والتحديات الحضارية التي تعيشه (النقاش، 2019).

ونظراً للمكانة التي أصبحت تتميز بها المباني التراثية في العديد من السياسات التخطيطية والتنمية، فقد ظهرت في الآونة الأخيرة العديد من التيارات الفكرية التي تُنادي بالحفاظ على هذا الإرث العمراني، والذي أصبح يشكل تحدياً تنموياً

باعتباره مجالاً خصباً للاستثمار السياحي خاصة مع التوجه العالمي الجديد الذي يتبنى استدامته الحضرية، "ومع رواج فكرة السياحة الثقافية تنامي الوعي بالإمكانات الكامنة في التراث ومقدرته على إنعاش الحركة السياحية وكذلك الحركة التجارية، ذلك أنه يُمثل وسيلة مهمة بين وسائل متعددة تغري السائح بزيارة المنطقة، فضلاً عن أن التراث وسيلة للتعرف بشعوب المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم وحضارتهم" (المالكي، 2011).

والجدير بالذكر أن التراث العمراني قد تأثر بالظروف المستجدة التي تشهدها أغلب المدن، مما نتج عنها تعدي على هذا الجزء الحساس من نسيجها العمراني بشكل جزئي أو كلي، مما يتطلب وجود سياسات عمرانية ترمي إلى المحافظة عليه وإعادة تأهيله بوضع مختلف الآليات والصلاحيات لتحقيق أهدافها بين مختلف الفاعلين في هذا الميدان، خاصة عندما يتعلق الأمر بتنميته سياحياً من خلال خلق علاقة متكاملة بين سياسات الحفاظ والتنمية السياحية، "في الوقت الذي تعتمد السياحة على زيارة ذلك التراث من قبل السياح، بالإضافة إلى حمايته لضمان الاستدامة" (النعيم، 2005).

وتعد الجزائر واحدة من الدول العربية التي تزخر بتراث عمراني ثري ومتنوع، ينبع من تعدد الحضارات الإنسانية المتعاقبة عليها وغنى بيئتها الطبيعية بكل الأشكال التراثية، والتي يمكن استثمارها سياحياً من أجل تنميتها المستدامة تبعاً للتحديات العالمية.

### مشكلة البحث:

كان العرب المسلمون عندما يرغبون في تشييد وبناء مدنهم الأولى يدرسون العديد من العوامل التي يعتبرونها ذات أثر كبير على نشوءها، إذ لا يمكن لتلك المدن أن تتشأ اعتباطاً من دون ضوابط تحدد قيامها (الهيبي، 2017)، مما يكون لها تأثير مباشر في تطورها المستقبلي ومورفولوجية مبانيها التي تحمل ثقافة وحضارة مجتمعاتها، وتطرح ضرورة المحافظة عليها لما تحمله من قيم اجتماعية واقتصادية وثقافية تماشياً مع التوجهات الدولية نحو الاستدامة.

وتُقدم مدينة قسنطينة نموذجاً ملائماً لمدينة عربية تزخر بالعديد من المباني التراثية المنتشرة ضمن نسيجها العمراني الممتد على وحدات طبوغرافية منفصلة تربطها مجموعة من الجسور العالية، والتي تُعاني من التدهور الشديد نتيجة للتدخلات العشوائية غير المدروسة وهجرة سكانها الأصليين خاصة بالمدينة القديمة "السويقة"، إلى جانب الاعتداءات الحديثة غير الملائم مع خصوصيتها العمرانية والمعمارية، في الوقت الذي يمكن التخطيط لهذه المباني التراثية والثقافية من أجل تنميتها سياحياً بشكل عقلاني بما يضمن استدامتها

وتكمن مشكلة البحث في كيفية وضع آلية للمحافظة على المباني التراثية لمدينة قسنطينة والاستثمار فيها سياحياً لضمان استدامتها وفعاليتها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- التعرف بالمباني التراثية لمدينة قسنطينة.
- توضيح مختلف التدخلات للحفاظ على المباني التراثية لتعزيز السياحة الثقافية لمدينة قسنطينة.
- العمل على إبراز العلاقة بين الثلاثية الحفاظ على المباني التراثية والتنمية السياحية والاستدامة.

### أهمية البحث:

تمكن أهمية البحث فيما يلي:

- أهمية مدينة قسنطينة المتجددة في عمق التاريخ كوجهة سياحية مميزة بطبيعة خاصة.
- خصوصية المباني التراثية بمدينة قسنطينة.
- آلية الجمع بين المحافظة على المباني التراثية والتنمية السياحية من منظور الاستدامة.
- أهمية المشاركة المجتمعية في الحفاظ على المباني التراثية.

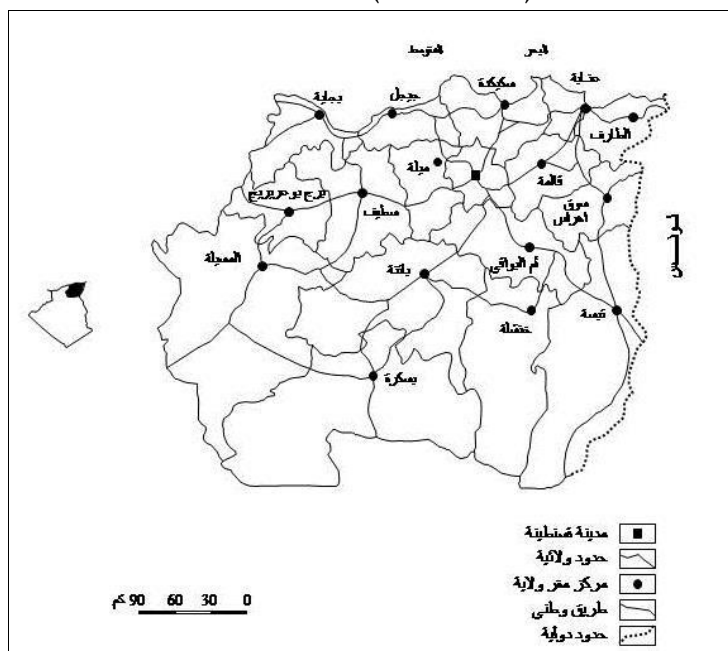
## منهجية البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المراجع النظرية من كتب ومجلات ودراسات أكاديمية ومقالات والتي سمحت بتوضيح أهمية المباني التراثية وضرورة المحافظة عليها باعتبارها مجالا عمرانيا يعكس تاريخ المدينة وثقافتها، ويلقى اهتماماً متزايداً من مختلف الهيئات المحلية والدولية، الأمر الذي استخدم المنهج الوصفي في توضيح المباني التراثية المنتشرة بالمدينة من أجل التخطيط السياحي المستدام لها، إلى جانب المنهج التاريخي الذي ساهم في تحديد الأبعاد التاريخية لنشوءها، وكذا المنهج الكمي الذي يهتم بمعالجة مختلف البيانات المتعلقة بالتوافد السياحي باعتبار مدينة قسنطينة وجهة للسباحة الثقافية والتراثية.

### 1- أهمية موقعية محفزة لتطوير السياحة الثقافية بمدينة قسنطينة:

تقع مدينة قسنطينة في شرق الجزائر على دائرة عرض 36,23° شمالاً وخط طول 7,35° شرقاً، وهي بذلك تحتل منطقة متضرسة و متميزة (لعروق، 1984)، ضمن الأطلس التلي بين خط الساحل والحد الشمالي للصحراء، حيث تبعد بمسافة 245 كم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية، و 431 كم عن الجزائر العاصمة غرباً، و 235 كم عن مدينة بسكرة جنوباً و 89 كم عن مدينة سكيكدة شمالاً، تقطع المدينة العديد من الطرق الوطنية (الطريق الوطني رقم 03، الطريق الوطني رقم 05، الطريق الوطني رقم 79...)، وخطوط السكك الحديدية، بالإضافة إلى تواجد المطار الدولي "محمد بوضياف" بهضبة "عين الباي"، وقد سمح لها الموقع بأداء دور مهم بالشرق الجزائري الذي تتوسطه جغرافياً من خلال علاقات وظيفية تاريخية، والذي زاد من أهمية المدينة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي باعتبارها نقطة التقاء كل طرق المواصلات البرية والجوية، ومركزاً اقتصادياً صناعياً على المستوى الوطني خاصة في الصناعات الميكانيكية والصناعات الأخرى، وهي كذلك منطقة للتبادلات وتركز رؤوس الأموال، ومحطة تعاقبت عليها مختلف الحضارات والتي تركت بصماتها فيها وشكلت تراثاً حضرياً ثرياً ومتنوعاً يعكس أهميتها الموقعية ويحفز تطوير السياحة الثقافية فيها.

يبلغ عدد سكان مدينة قسنطينة نحو 418.672 نسمة سنة 2008، مما يجعلها تحتل المرتبة الثالثة في ترتيب المدن الجزائرية بعد كل من الجزائر العاصمة وهران (ONS, 2011).



شكل (01): الموقع الإداري لمدينة قسنطينة.

المصدر : O.N.S., 2011

## 2- إرث تاريخي، عريق، يُعزز السباحة الثقافية:

تكتسب مدينة قسنطينة تاريخ عريق، يعكس مختلف الحضارات المتعاقبة عليها والتي بقيت أغلب شواهدا قائمة لحد الآن، والتي تُمثل حاليًا تراثًا عمرانيًا مهم يتطلب التعريف به من خلال خطط ترويجية هامة لجذب السياح من مختلف الجهات الجغرافية.

فمدينة قسنطينة بفضل مميزات موضعها الدفاعي على "الصخرة"، ووقوعها ضمن إقليم غني اقتصاديًا كانت أهم ثغر لمرور القوافل، والمحطة الثانية بعد قرطاجنة، لكل التيارات التجارية المتنقلة من الشرق إلى الغرب والعكس، أن تكون دائمًا مركزًا للسلطة والحكم في إقليم الشرق الجزائري عبر كل المراحل المتعاقبة عليها.

الصخرة هي أهم وحدة طبوغرافية بالموضع، وهي النواة الأولى لنشأة مدينة قسنطينة، تبلغ مساحتها 40 هكتار، تحيط بها العوائق الطبيعية (خنادق الرمال والانحدارات الشديدة) من كل جهاتها ماعدا الجهة الغربية أين تتصل طبيعيًا بشريط عرضه 300م، وهي كتلة كلسية بارزة، شكلها العام مثلث غير منتظم الأضلاع (بن غضبان، 2001)، وهو يتفق مع الإنحناءات التي رسمتها خنادق الرمال المحيطة به على طول يبلغ 2,8 كم، هي ترتبط بالهضاب والتلال المجاورة لها بعدد من الجسور (Lakehal, 2013).

يرجع تاريخ نشأة مدينة قسنطينة إلى 1450 سنة ق. م وكانت عاصمة المملكة النوميدية لمدة 157 سنة حيث كانت تعرف باسم "سیرتاCirta" (Boucharab, 2006)، وخلال العهد الروماني تحولت قسنطينة إلى عاصمة لكنفدرالية، وقد تميزت خلال هذا العهد (الروماني) بعدم الاستقرار الأمني، حيث وقعت بها ثورة داخلية عنيفة أدت إلى تخريب المدينة تخريبًا كليًا سنة 311م، وأصبحت تعاني من أزمة سكنية حادة إلى أن أعاد بناءها الملك قسطنطين الأكبر (Le roi Constantin) سنة 313م، لتحمل المدينة اسمه فيما بعد.

دخلت المدينة تحت حكم الوندال سنة 432 م بطلب من سكانها الذين استجدوا بالجيش الوندالي للقضاء على الاستعمار الروماني في ذلك الوقت، لينتهي هذا الانتداب الوندالي مع استيلاء البيزنطيين الرومان على المدينة سنة 534م لتعود بذلك المدينة إلى الحكم الروماني وتستمر بذلك مقاومة الأهالي.

وأصبحت مدينة قسنطينة إسلامية بعد سبعين (70) سنة من محاولات الفتح العربي الإسلامي لمنطقة بلاد المغرب، ففي القرن السابع الميلادي هاجم الفاتحون العرب بقيادة القائد "عقبة بن نافع الفهري" مدينة قرطاجنة والمدن الأخرى البيزنطية التابعة لها، ومنها مدينة قسنطينة فدخلت بذلك تحت الحكم الإسلامي، حيث كانت تابعة للقيروان في عهد الولاة لتبقى على ذلك على الامتداد التاريخي للحكم الإسلامي خلال عهود: الأغالبة، والفاطميون، والزيرونيون، والموحدون والحفصيون.

وخلال الحماية العثمانية (منذ سنة 1560م) تحولت مدينة قسنطينة إلى واحدة من أهم المدن التجارية والصناعية بمنطقة المغرب العربي وعاصمة لـ "بايلك" الشرق، الشيء الذي عاد على سكانها بالرخاء وازدهار حياتهم ورفقيها، وفُدر عدد سكانها خلال هذه المرحلة بنحو 40.000 نسمة، حيث استطاعت بفضل ديناميكيته الاقتصادية أن تستقطب سكان الأرياف المجاورة لها، كما ازدهرت بمدينة قسنطينة الحياة الثقافية نتيجة انتشار المساجد والمدارس القرآنية التي وضع لها العثمانيون نظامًا دقيقًا يستفيد منه المدرسون والتلاميذ ويخضع له العاملون بأمكان الدرس والعبادة، كما قام العثمانيون بتنظيم إدارة أملاك الحبوس والأوقاف، وتحسين أوضاع الزراعة، حتى أصبحت المدينة مركزًا سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا هامًا بالمغرب العربي (Benidir, 2007).

وبدخول الاستعمار الفرنسي وسقوط المدينة في سنة 1837م بعد مقاومة عنيفة من السكان، أصبحت المدينة مقسمة إلى قسمين، قسم خاص بالفرنسيين واليهود وقسم خاص بالسكان الجزائريين المسلمين، وذلك بعد إدخال تعديلات على النسيج العمراني للصخرة بشق بعض الطرق التي اصطفت عليها مباني جديدة ذات نمط أوروبي على حساب المباني

العربية الإسلامية التي تم هدمها (Régis, 1880)، كما احتفظت المدينة بمكانتها كعاصمة لبابك الشرق خلال المرحلة الاستعمارية.

وبعد الاستقلال عرفت مدينة قسنطينة نمواً حضرياً متزايداً نتيجة الهجرة الوافدة إليها من المناطق المجاورة بحثاً عن السكن والعمل والحصول على الخدمات، والتي ترتب عنها توسع عمراني ليغطي كل موضوع المدينة بأنماط سكنية متباينة (Nait-Amar, 2015) وأنشطة ووظائف حضرية متباينة تعكس أهمية المدينة ضمن شبكة المدن الجزائرية. وقد تركت مختلف هذه الحضارات التي مرت بمدينة قسنطينة العديد من المباني التراثية والتي تشكل إرثاً تراثياً يدعم تنمية السياحة الثقافية بالمدينة.

### 3- تعدد المباني التراثية بمدينة قسنطينة:

سمحت مختلف الحضارات المتعاقبة على مدينة قسنطينة من اكتساب المدينة على العديد من المباني التراثية، والتي تعكس ثقافات وعادات متعددة عبر التاريخ الإنساني والتي يمكن الاستثمار فيها سياحياً لتعزيز السياحة الثقافية فيها، ولعل أهم هذه المباني يمكن أن نذكر:

\* - **الأقواس الرومانية:** تعتبر من بين المعالم المصنفة كتراث وطني منذ سنة 1900، فهو عبارة عن بقايا قناة مائية قديمة تجلب المياه من منبع بومرزوق لتعبر وادي الرمال، حيث تعتبر هذه الأقواس شاهداً على الحضارة الرومانية بالمنطقة.

\* - **المدينة القديمة "السوقة":** تعتبر المدينة القديمة تراثاً عمرانياً، ومجالاً للمبادلات التجارية لتصبح مع الزمن سوقاً كبيرة يقصدها الناس ليس من أنحاء المدينة فحسب بل من كل البقاع المجاورة، تتميز مبانيها بالتلاحم والترابط المنفتحة على أفنية داخلية تعكس مدى تقديس السكان المحليين للعلاقات الاجتماعية والخصوصية، تهيكليها دروب وأزقة متسلسلة وفقاً لترابنية من العام إلى الخاص التثقل بين مختلف أرجاء المدينة، كما تحوي المدينة على أسواق متخصصة لكل منها اسم ونشاط معين فجد الجزارين، والحدادين، وسوق الغزل...، إلى جانب المساحات التي تحيط بها المنازل والتي تسمى "الرحبة" وتختص في التجارة مثل: رحبة الصوف، ورحبة الجمال... (Boukerzaza, 2015).

\* - **قصر أحمد باي:** الذي يعود تاريخ بناءه إلى الفترة الممتدة ما بين 1827-1835م، يتميز باتساعه ودقة تنظيمه وتوزيع أجنحته، وقد حاول الاستعمار إضفاء الطابع الأوربي على القصر من خلال طمس معالم الزخرفة الإسلامية، ورغم ذلك فقد ظلت الهوية الأصلية للقصر هي السائدة والمهيمنة على كل أجزائه وفضاءاته، وقد صنف القصر ضمن التراث الوطني سنة 1934، باعتباره تحفة معمارية فريدة من نوعها (أهراو، 2013).

\* - **المساجد:** من أهم المعالم التراثية التي تتركز بالمدينة، ومن أهمها نذكر المسجد الكبير المتواجد بشارع العربي بن مهيدي والذي أنجز سنة 530 هـ الموافق لـ 1163 م، هو تحفة معمارية وفنية عريقة، تنتشر الأسواق حوله مشكلة قلب المدينة الذي أصبح يعرف فيما بعد بسوق التجار، وقد تعرض المسجد لجملة من التغييرات أثرت سلباً على قيمته الأثرية، كما عرف توسع سنة 1968 من خلال تسقيف فناءه وذلك لزيادة طاقة استيعابه للمصلين، بالإضافة إلى مسجد سوق الغزل الذي شُيّد سنة 1721 من طرف "قليان حسين باي"، وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى سوق صوف الغزل التي كانت موجودة بالقرب منه، يُعرف حالياً باسم مسجد الباي، وقد تم تصنيفه سنة 1903 كتراث وطني، ومسجد سيدي لخضر فيعود تاريخ إنشاء هذا المسجد الكائن بحي الجزارين إلى سنة 1743، حيث أنشأ بأمر من الباي "حسين بن حسين"، وقد تم تصنيفه كتراث وطني سنة 1905، أما مسجد سيدي عبد المؤمن فقد تم بناءه في عهد "أحمد باي بن علي القلي" في الفترة الممتدة ما بين 1756-1771، تخليداً للشيخ عبد المؤمن الذي كان من طلبة العلم البارزين آنذاك، دون أن ننسى مسجد سيدي الكتاني الذي شُيّد بأمر من "صالح باي" سنة 1776، وهو متواجد بالقرب من سوق العصر، ويتميز بروعة جماله فقد تم تزيينه بلوحتين مخطوطتين من الرخام. أما المدرسة الكتانية فقد بنيت سنة 1776، وقد صنف الجزء القديم منها الذي يضم ضريح "صالح باي" وعائلته كتراث وطني سنة 1913. وفي سنة 1994، تم بناء مسجد "الأمير عبد القادر" على

مساحة تمتد على 3 هكتار، وهو يعتبر من أهم المساجد في المدينة، ويتسع لأكثر من 160 مصلي، ما جعله يصنف كمسجد وطني مركزي، كما يقوم المسجد بعدة وظائف بالموازاة مع الوظيفة التعبدية، فهو يضم جامعة عريقة خاصة بتدريس العلوم الإسلامية والإنسانية والاجتماعية تتسع لأكثر من 2500 طالب (أهرو، 2013).

\* - **الزوايا:** تعتبر مكانًا للتصوف والتفقه في أمور الدين، ومن أهمها يمكن أن نذكر الزاوية الرحمانية المتواجدة شمال شرق الصخرة بالمنطقة المسماة الشارع، وتحديداً بشارع الإخوة عرفة، تعتبر هذه الزاوية من أهم وأعرق الزوايا بالمدينة، حيث يعود تاريخ بنائها إلى القرن العاشر الهجري، وتنسب هذه الزاوية إلى عائلة "باش تارزي" نظراً لأنها من ممتلكاتها ونسبة إلى مؤسسها الأصلي "عبد الرحمن بن حمود بن مانس باش تارزي"، كما تتواجد بمدينة قسنطينة الزاوية التيجانية السفلى بشارع ملاح سليمان، ويعود تاريخ إنشائها إلى القرن الثاني عشر ميلادي، وتوجد بالزاوية مدافن "آل بن نعمون"، وهم من أعلام قسنطينة، وكذلك الزاوية التيجانية العليا التي بُنيت سنة 1730، وتتكون من قاعة للصلاة وغرفتين إحداها لتعليم القرآن والأخرى لاستقبال الضيوف، بالإضافة إلى الزاوية الطيبية بحي السويقة، التي تم إنشائها في القرن الثامن عشر ميلادي على يد "محمد الشريف بن شريط" الذي يوجد ضريحه بالزاوية حالياً، وكذلك زاوية حنصالة التي يعود تاريخ بنائها إلى القرن التاسع عشر ميلادي من طرف مؤسسها "أحمد الزاوي" المدفون بها، أما زاوية سيدي راشد فهي من أكثر الزوايا قيمة تاريخية، يعود تاريخ إنشائها إلى القرن التاسع الميلادي، وهي تتواجد أسفل جسر سيدي راشد الذي تنسب إليه (أهرو، 2013).

\* - **الحمامات:** عايشت مدينة قسنطينة الحضارة الإسلامية لفترة طويلة، مما جعلها تحوي العديد من الحمامات قدر بـ 16 حماماً (أهرو، 2013)، تتميز كلها بعمارتها المتميزة، من أهمها نذكر: حمام نعمان باي، حمام بلبجاي، حمام بوقفة، حمام سوق الغزل، حمام بلحاج مصطفى، حمام بن طبال، حمام البطحة، حمام بن جلول...

\* - **الجسور:** تضم مدينة قسنطينة ثمانية جسور تربط بين أحيائها ونسيجها العمراني المقام على موضع متضرس، يعبر كل جسر عن حضارة تعاقبت على المدينة، فجسر باب القنطرة يعتبر أقدم جسر بالمدينة، بناه صالح باي سنة 1792 على أنقاض جسر روماني، وفي سنة 1857 تعرض الجسر لتهديم جراء مرور قافلة عسكرية فرنسية ثقيلة، الأمر الذي جعل الفرنسيين يقررون إعادة بنائه، وقد تم ذلك فعلاً مع نهاية سنة 1863، وبعد قرن من بناء الجسر ومع حلول سنة 1952 استفاد الجسر من عملية توسيع عرضي بعد أن تعرض جزء منه للسقوط، أما جسر سيدي راشد هو أطول جسر حجري في العالم، تم تشييده من قبل المستعمر الفرنسي سنة 1912، يبلغ طوله 447م، وعرضه 12م، في حين يبلغ علوه 105م عن وادي الرمال، يحتوي الجسر على 27 قوساً قطر أكبرها يصل إلى 70م، يطل الجسر على وادي الرمال والمدينة القديمة، فهو بذلك المدخل الرئيسي لها، بينما جسر سيدي مسيد هو يُعد أعلى جسور قسنطينة وأهمها على الإطلاق، بناه المستعمر الفرنسي سنة 1906، وتم تدشينه سنة 1912، ارتفاعه إلى 175م فوق وادي الرمال، وهو يربط بين المدينة القديمة والمستشفى الجامعي، في حين نجد أن جسر ملاح سليمان الذي دشن سنة 1917، فهو يمتد على مسافة 125م، ويقدر عرضه بـ 2 م، ويصل ارتفاعه إلى 103 م عن وادي الرمال، وجسر الشلالات فقد تم إنشائه سنة 1928، يصل طوله 80م أما عرضه فلا يتجاوز 3 أمتار، وقد سمي بهذا الاسم لمرور مياه وادي الرمال من خلاله مشكلة بذلك شلالات (Belbacha, 2011)، أما جسر مجاز الغنم فهو بمثابة امتداد لشارع رحمان عاشر، وهو يتميز بضيقه إذ لا يتجاوز عرضه 2 م، في حين يبلغ طوله 40م، بينما جسر الشيطان هو جسر صغير يربط ضفتي وادي الرمال. والجدير بالذكر أنه في سنة 2013 تم الانتهاء من إنجاز الجسر العملاق بمدينة قسنطينة وقد حمل اسم جسر "صالح باي".



شكل (02): بعض جسور مدينة قسنطينة.  
المصدر: أرشيف بلدية قسنطينة.

\*- **المسارح ودور الثقافة:** تضم مدينة قسنطينة بعض الهياكل الثقافية، والتي تساهم في تدعيم تطوير السياحة الثقافية بالمدينة، وفي ذلك يبرز المسرح الجهوي الذي تم بناءه من قبل المستعمر الفرنسي سنة 1883 طبقاً للنموذج التقليدي للمسارح الإيطالية، ورغم مرور أكثر من قرن على وجوده لازال المسرح يحتل مكانة متميزة في الفضاء الثقافي لمدينة قسنطينة ولا زال يعد من أجمل معالمها المعمارية، كما يعتبر المركز الثقافي ابن باديس من أعرق مراكز الإشعاع الثقافي بالمدينة، يعود تاريخ بنائه إلى العهد الاستعماري، ويحتضن حالياً انعقاد الندوات، والملتقيات وإحياء الحفلات الفنية من قبل مختلف الجمعيات والهيئات الثقافية بالمدينة. وتُعد دار الثقافة محمد العيد آل خليفة من أهم الفضاءات الثقافية الموجودة بمركز مدينة قسنطينة، والتي فتحت أبوابها سنة 1978، وتضم عدة ورشات إضافة إلى مكتبة وقاعة للحفلات، وقصر الثقافة مالك حداد الذي تم تدشينه سنة 1997، يعتبر من بين أهم الهياكل الثقافية بمدينة قسنطينة، تجمع هندسته بين الطابع القديم للعمارة الإسلامية والشكل المعماري المعاصر، يحتضن هذا الصرح الثقافي أهم التظاهرات الثقافية المقامة على مستوى الولاية (Belbacha, 2011).

\*- **المتاحف:** يعد المتحف الوطني "سیرتا" من أقدم المتاحف بالجزائر، فقد جاءت فكرة إنشائه مع ظهور الجمعية التراثية لمقاطعة قسنطينة سنة 1852، والتي ألحت على إنشائه بدافع تخزين القطع الأثرية التي تكتشف من حين لآخر، واختيرت منطقة "كدية عاتي" كموقع لهذا المتحف لما لها من أهمية تاريخية وإستراتيجية بالنسبة للمدينة، وقد دشن المتحف سنة 1931 تحت اسم "Gustave Mercier"، وفي سنة 1975 أطلق عليه الاسم القديم لمدينة قسنطينة "سیرتا"، وصنف كمتحف وطني سنة 1986، ويترع المتحف على مساحة 2100م<sup>2</sup>، يحتوي على ثلاث أقسام رئيسية هي: قسم الآثار، قسم الفنون الجميلة وقسم الاثنوغرافية، بالإضافة إلى ذلك فهناك المتحف العمومي الوطني للفنون والتعبير الثقافية التقليدية المجاور لقصر "أحمد باي" حيث تم تحويل جزء من قصر أحمد باي بعد ترميمه سنة 2010 ليكون متحف للفنون والتقاليد الشعبية، ويحوي المتحف حالياً على قاعتين للعرض فقط، القاعة الأولى في الطابق الأرضي وتحوي آثار لمختلف الحضارات التي مرت على المدينة، والقاعة الثانية تحوي على عرض بعنوان "كتامة والحضارة الفاطمية"، في حين تبقى مجموعة من القاعات خالية.

#### 4- المباني التراثية حجر الزاوية في تطوير السياحة الثقافية بمدينة قسنطينة:

من أجل الاستثمار السياحي في المباني التراثية وتعزيز السياحة الثقافية بمدينة قسنطينة، فقد تم تبني إستراتيجية تخطيطية تخضع للتوجهات الاقتصادية السائدة بالدولة، والتي عملت على إنجاز عدد من المشاريع السياحية والتي كان لها أثر واضح في الرفع من مستوى الخدمات السياحية بالمدينة، والمتمثلة في:

- إعادة تهيئة مركز مدينة قسنطينة، وهي عملية تدخل عمرانية تمت باشتراك التجار والسكان والسلطات المحلية، هدفها إعادة تأهيل وإعادة الاعتبار للنسيج المبني للمدينة القديمة والمباني المتواجدة على طول المحاور الرئيسية من أجل تحسين الوجه السياحي لمركز المدينة (Boufenara, 2008)، وقد خصت العملية كلا من شارع "19 جوان"، وشارع "عواطي مصطفى" وشارع "بلوزداد"، بالإضافة إلى تهيئة الساحات العمومية المتواجدة بها.

- إزالة المساكن الفوضوية بحي "باردو" المقدر عددها بـ 2000 مسكن خلال الفترة 2008-2010 على مساحة 115 هكتار وترحيل 5700 ساكن إلى المدينة الجديدة "علي منجلي"، بهدف استرجاع عقار استراتيجي مجاور لمركز المدينة لبرمجة مشاريع هامة من جهة، ومن جهة أخرى تحسين المنظر الحضري (Milous, 2006) ليتناسب مع إستراتيجية التنمية السياحية المنشودة.

- تهيئة حي "باردو"، وذلك ببرمجة العديد من مشاريع الاستثمار السياحي على جزء من العقار المسترجع بعد تهديم المساكن الفوضوية، وذلك بإنشاء حظيرة تسلية وترفيه على مساحة قدرها 65 هكتار، بتهيئة طرفي واد الرمال وإنجاز مرافق وهياكل ثقافية وتجارية وبيئية ذات طابع إيكولوجي (Boudjadja, 2014).

بالإضافة إلى بعض المشاريع الأخرى، منها:

- إنجاز فندق "ماربوت" على الحافة الشمالية لهضبة "عين الباي".
- قاعة العروض الكبرى "أحمد باي" تقع بالجهة الجنوبية من مدينة قسنطينة، بالقرب من المطار الدولي "محمد بوضياف".
- إعادة تأهيل دور الثقافة والمسارح الموجودة بالمدينة لضمان دورها في تنمية السياحة الثقافية.

#### 5- دور محدود للفاعلين المحليين مع عوائق متعددة بمدينة قسنطينة:

بالرغم من وجود العديد من المتعاملين والفاعلين في مجال السياحي، إلا أن دورهم كان جد محدود في تطوير السياحة الثقافية بمدينة قسنطينة، حيث أن:

- مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية قسنطينة: التي تعتبر إحدى المصالح الخارجية لوزارة السياحة، فهي تعمل على إعداد مخطط عمل سنوي يتعلق بالأنشطة السياحية وتطوير برامج التطوير والترقية السياحية وتلك المرتبطة بالصناعات التقليدية.

- الديوان الوطني الجزائري للسياحة: والذي يعمل على مراقبة الهيئات التي تمارس النشاط السياحي، إلى جانب جمع المعطيات المتعلقة بالسياح والمساهمة في التظاهرات السياحية بغرض تطوير المنتج السياحي.

- الديوان البلدي للسياحة: هو يعمل على إعداد برامج ترقية السياحة على المديين المتوسط والبعيد والسهر على تنفيذها.

- مديرية الثقافة لولاية قسنطينة والتي تسهر على حماية التراث العمراني والثقافي والمعالم التاريخية والعمل على متابعة عمليات ترميمها وإعادة تأهيلها.

- وكالات السفر والسياحة: ويبلغ عددها 35 وكالة سياحية منها 05 وكالات حكومية و30 وكالة خاصة، وتعمل على تنظيم الرحلات السياحية فردية وجماعية داخل مدينة قسنطينة بزيارة المواقع والمعالم الأثرية وخارج الجزائر بتنظيم رحلات الحج والعمرة.

- الجمعيات السياحية: هناك العديد من الجمعيات المتواجدة بمدينة قسنطينة والبالغ عددها 104 جمعية، لكن أغلبها يهتم بالمحافظة على التراث الموسيقي للمدينة "موسيقى المالوف"، والتراث العمراني خاصة مباني المدينة القديمة فقط (مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية قسنطينة، 2016).

الأمر الذي جعل من تطوير السياحة الثقافية أمراً غير مدرج ضمن أولويات هذه الهيئات والفاعلين في مجال النشاط السياحي بمدينة قسنطينة.

#### 6- نتائج البحث:

تتمثل أهم نتائج البحث فيما يلي:

- عدم وجود تدخلات جدية من قبل السلطات المحلية في الحفاظ على المباني التراثية لمدينة قسنطينة.



- عرفت المباني التراثية بمدينة قسنطينة إهمالاً كبيراً، أدى إلى انهيار جزء كبير من المباني التقليدية بحي السوق، حيث غابت تمامًا عمليات التجديد وإعادة التأهيل عدا بعض تدخلات التجديد النقطية التي مست قصر "أحمد باي"، وبعض المباني المتعلقة بدور الثقافة (محمد العيد آل خليفة، مالك حداد...)، وأخرى تتعلق بترميم أهم المباني المطلة والمصطفة بشوارع: 19 جوان، وعواطي مصطفى وبلوزداد.

- غياب مشاركة المجتمع المحلي في مشاريع الترميم وإعادة الاعتبار للمباني التراثية بالمدينة، مما ترتب عدم فعالية هذه المشاريع.

- غياب تام لمنظمة اليونسكو في عمليات الحفاظ والترميم بمدينة قسنطينة.
- عدم الاستغلال السياحي للمباني التراثية بالمدينة، وغياب خطط ترويجية لها.
- انتشار التجارة الفوضوية شكل عائقاً في تنمية وتطوير الحرف التقليدية بالمدينة.
- غياب التجهيزات الخدمية والمساحات الخضراء والمساحات العمومية وأماكن الالتقاء، مما أدى إلى زيادة تدهور هذه المباني.

- عدم صيانة الشبكات البنى التحتية، مما أدى إلى وجود أخطار تهدد صحة السكان والبيئة.

- قصور في دور الجمعيات المحلية في الارتقاء بالمباني التراثية وحمايتها بتوجيه صناع القرار بضرورة حماية المباني التراثية والارتقاء بها.

والجدير بالذكر أن هذه المشاكل وغيرها تعيق وجود علاقة بين المباني التراثية والسياحة الثقافية بمدينة قسنطينة، لذلك لا بد من تصور بعض التوصيات التي من شأنها إيجاد هذه العلاقة كما يلي:

#### 7- توصيات البحث:

من أجل ضمان تطويراً للسياحة الثقافية بمدينة قسنطينة يجمع بين الحفاظ على المباني التراثية والاستدامة كتحدياً دولياً لا بد من الجمع والتوازن بين ثلاثية:

- متطلبات السياحة الثقافية.
- الحفاظ على المباني التراثية.
- أبعاد التنمية المستدامة.

وحتى يتحقق ذلك، يمكن أن ندرج بعض التوصيات التي تتوزع في محورين هامين هما:

#### 7-1- ضرورة الحفاظ على المباني التراثية: وذلك بـ:

- ضرورة إشراك المجتمع المدني المحلي بكل فئاته (سكان، تجار، متقاعدين، جمعيات...) في كل برامج الترميم والصيانة للمباني التراثية بمدينة قسنطينة باعتبارهم فاعلين أساسيين، من مرحلة الدراسة حتى مرحلة التنفيذ.
- العمل على إصدار مخططات عمرانية تُعنى بالمباني التراثية وبإطاره المكاني، تُرسم فيه مختلف التدخلات وكذا تحديد دور مختلف المؤسسات والهيئات في عمليات الترميم والحفاظ والصيانة في إطار متكامل ومتناسق.
- تحفيز دور الجمعيات المهتمة بحماية التراث وتشجيعها في مواجهة التدهور الذي آلت إليه أغلب المباني التراثية.
- معالجة المشاكل العقارية المتعلقة بملكية المباني التراثية، وترميمها في إطار شامل ومتكامل لضمان استمراريته، والتي تعتبر أهم العوائق.

#### 7-2- تطوير السياحة الثقافية المستدامة بالمباني التراثية: من خلال:

- تحديد الأدوار والمسؤوليات بين وزارتي الثقافة والسياحة في وضع التدابير اللازمة لتنفيذ مخططات الحفاظ والترميم للمباني التراثية.
- ضرورة تنفيذ مخطط سياحي يراعي مصالح السكان المحليين من جهة، ويحقق تجهيزات سياحية معاصرة ومتكاملة.

- استغلال بعض المباني التراثية سياحيًا لتكون مطاعم مصنفة بعد صيانتها لتقديم المأكولات التقليدية.
- الاستثمار في المباني التاريخية والأثرية سياحيًا (متاحف، قصور، مساجد، قلاع...) بتجهيزها لتكون وجهة للسياحة الثقافية مميزة لمدينة قسنطينة وإضاءتها، مع توظيف مرشدين سياحيين للتعريف بها، مما يشجع على توسيع هذه الاستثمارات السياحية على أغلب المباني المعنية بالمدينة.
- الإسراع في انجاز القرية الحرفية بحي باردو لتشجيع الحرف والصناعات التقليدية وعرضها على السياح بما يحقق المنفعة الاجتماعية والاقتصادية منها من خلال إقامة معارض ومهرجانات وأسواق، ومنه تنشيط الحركة السياحية من جهة، والتعريف بالحرف اليدوية وإبراز أهمية الصناعات التقليدية في جذب السياح.
- القيام بحملات توعية للتعريف بقيمة المباني التراثية وماهية السياحة والعلاقة التي تربطهما، وكذا تشجيع الشباب على الحفاظ على كل ما هو موروث وذلك من خلال تقديم دروس ومحاضرات من طرف أخصائيين في المجال.
- وضع حل جذري للتجارة الفوضوية وتقنينها بشكل يسمح بتطور الحرف والصناعات التقليدية بالمدينة.

## المصادر والمراجع:

### باللغة العربية:

- النقاش، محمد. (2019). الحفاظ على التراث العمراني من منظور سياحي، ط1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان.
- المالكي، قبيلة فارس. (2011). الإبداعات العمرانية والمعمارية العربية: الحفاظ، الصيانة، إعادة التأهيل، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان.
- النعيم، عبد الله العلي. (2005). التنمية السياحية للمناطق التراثية في المواقع الساحلية، مؤتمر "التنمية والسياحة بالمناطق الساحلية" شرم الشيخ، مصر.
- أهراو، وفاء. (2013). التراث الحضري: أداة لتفعيل السياحة المستدامة، دراسة حالة مدينة قسنطينة الكبرى، مذكرة ماجستير في تسيير المدن والتنمية المستدامة، معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة "العربي بن مهيدي" أم البواقي.
- الهيتي، صبري فارس. (2017). الجغرافية الحضرية، ط1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان.
- لعروق، محمد الهادي. (1984). مدينة قسنطينة: دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- بن غضبان، فؤاد. (2001). المدن التوابع حول مدينة قسنطينة: تحولاتها، أدوارها ووظائفها، مذكرة ماجستير في التهيئة الحضرية، كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة.
- بن غضبان، فؤاد. (2018). التنمية السياحية المستدامة كمدخل للحفاظ على التراث العمراني بالجزائر: دراسة تطبيقية بـ "قصة" مدينة الجزائر العاصمة. المؤتمر الدولي "تراثنا بين الاستدامة والأزمات"، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة، كلية البترا للسياحة والآثار، جامعة الحسين بن طلال، الأردن، 9-11 نيسان.
- مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية قسنطينة، (2016)، تقرير سنوي، قسنطينة، الجزائر.

### باللغة الأجنبية:

- Belbacha, M.L., (2011), La capacité de charge touristique au sein de la démarche du projet urbain pour un tourisme durable : Cas de Constantine. Thèse de Magister, Université de Constantine.
- Benidir, F. (2007). Urbanisme et planification urbaine : Cas de Constantine, Thèse de doctorat, Université de Constantine.

- Bouchareb, A., (2006), *Cirta ou le substratum urbain de Constantine : la région, la ville et l'architecture dans l'antiquité (une étude en archéologie urbaine)*. Thèse de Doctorat, Université de Constantine.
- Boudjadja, R., (2014), *La dimension environnementale dans le projet de régénération urbaine du quartier de bardo à Constantine*. Thèse de Magister, Ecole Polytechnique d'Architecture et d'Urbanisme, Alger.
- Boufenara, K. (2008). *La réhabilitation comme processus du projet urbain cas de Constantine*. Thèse de Magister, Université de Constantine.
- Boukerzaza, M., (2015), *La revalorisation du patrimoine bâti par la requalification des espaces publics, Cas de la Médina de Constantine (Algérie) et de l'écoquartier Vauban à Fribourg-en Brisgau (Allemagne)*. Thèse de Doctorat, Université Jean Monnet, Saint Etienne, France.
- Lakehal, A., (2013), *La fabrication plurielle de centralités dans la périphérie de Constantine : le cas de la ville nouvelle Ali Mendjeli*. Thèse de Doctorat en géographie, Université François-Rabelais, Tours, France.
- Nait-Amar, N., (2015), *L'habitat et l'habiter dans les bidonvilles de Constantine : Conditions et évolutions*. Thèse de Doctorat, Université de Constantine.
- Milous, I. (2006). *La ville et le développement durable : Identification et définition des indicateurs de la durabilité d'une ville, cas de Constantine*. Thèse de Magister, Université de Constantine.
- ONS, Office National des Statistiques, (2011), *L'armature urbaine RGPH 2008 : Les principaux résultats de l'exploitation exhaustive*. Office National des Statistiques, Alger.
- Régis, L., (1880), *Constantine : Voyage et séjours*. Éd. Calmann Lévy, Paris.